ملكة العربية

اللغات من أحكم الصلات بين البشر ومن أقوى عوامل النهوض والارتقاء وعلى نسبة انتشار لغة الامة يكون نفوذها في سياستها وآدابها وصناعاتها وكل أمة زهدت في لغتها أو تخلت عنها ولم تجر في ترقيتها مع الزمن تغلب على أمرها ويفنى كيانها . يقول أحد العارفين اذا استعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها . وكان نابوليون يقول علموا الفرنسوية فهي تعليمها خدمة الوطن . وباللغة قامت الوحدة الاميركية والايطالية واليونانية والالمانية والصربية والرومانية والبلغارية فنجت هذه الامم بلغاتها من استعباد عداتها .

جاء القرآن على ما فيه من قواعد التشريع والاعتبار بالامم الخالية حاوياً قاعدة من اهم قواعد العمران واعني بها الدعوة الى توحيد اللغة فقضى على كل مسلم على اختلاف الاجناس ان يتعبد بالقرآن ويتلوه بلغته الاصلية فانتشرت بذلك العربية في القاصية والدانية وأخذ ابن الصين يتفاهم مع ابن مراكش بالعربية على بعد الديار

ولقد قامت الحكومات الاسلامية على اختلاف لغاتها بهذه اللغة وجعلتها لغة دواوينها وكتبت بها رسائلها وخطبها ومراسيمها . فجعلت حكومات الفرس والديلم والترك والبربر والكرد والجركس لغة العرب لغتها ولم تخلف عن هذه القاعدة في العصور المتأخرة إلا بعض الحكومات جعلت كل منها لغة أسرتها المالكة لغة رسمية لبلادها فاستغرب هذا منها حتى خاصة أهلها كان يرجى لمصر أن تكون كعبة العربية في العهد الاخير يحج اليها الطلاب

من أقطار العالم لو جاء بعد محمد علي رأس الاسرة الخديوية من أنجز العمل الذي كان وضع أساسه وتوفر على تعهد النبتة التي غرسها وأعوانه من الافرنج في بث ملكة العربية ونقل العلوم الضرورية اليها من لغات الاعاجم ولو دامت تلك النهضة سائرة سيرها الاول لكان لمصر حضارة عربية صرفة لم تمازجها عجمة الافرنج

نعم ان تعلم لغة قوم تحببهم الى نفس المتعلم في الغالب فمن تعلم الافرنسية كان محباً للفرنسيس ومن أحكم الانكليزية شغف بالانكليز ومن شدا الالمانية أعز الالمان ولكم رأينا أوروبياً تعلم العربية فاصبح يكرم العرب ويغار على مصلحتهم وآدابهم وبلادهم ولا غيرة ابنها العربي البحت .

أقول هذا وأنا على يقين من ان لغة القرآن قد خدمها علماء المشرقيات من الغربيين اكثر من خدمة خاصتها ورؤساء حكوماتها لها فطبعوا لها من نفائس الكتب وامهاتها واقاموا لها محافل ودروساً وسافروا في تعلمها وبذلوا في سبيلها البذول منذ وجهوا وجهتهم قبل المدنية الاسلامية حتى ان اول الكتب التي طبعت بعد اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر للميلاد كانت كتباً عربية من مؤلفات ابن سينا والرازي وابن رشد وغيرهم من فلاسفة الاسلام . ودامت تلك الروح تسري في جسم الحضارة الغربية حتى صار اليوم من علمائهم المختصين بدراسة لغتنا من يحسنون التكلم والتأليف فيها إحسان خاصتنا لها رأيت منهم الاميركي والانكليزي والالماني والافرنسي والنمسوي والاسوجي والهولاندي والروسي وكلهم محل الدهشة والاستغراب وشهدت من حميتهم وغيرتهم على لغة القرآن مالا اجد بعضه عند كثيرين من خاصتنا

وليس في اهل الاسلام اليوم مثل اهل فارس عناية بالعربية وآدابها لانهم لم ينسوا فيما احسب ان تعلمها من الدين وان من ناهضها ووضع السدود في سبيل سيرها فكأنما ناهض الدين وعاق دعوته عن الانبعاث ولذلك كان تعلمها عندهم على حصة موفورة . وقد يجيد متعلمهم فهمها وكتابتها إجادة العربي القح . ولا عجب فللفرس في تاريخ النهضة الاسلامية القديمة أثر مشكور على غابر الدهور

ومع ان التعليم في مصر غدا انكليزياً والاساس الذي قامت عليه نهضة العربية في اوائل القرن الماضي ترك وبني على غيره لا تزال العربية بالنظر لوحدة اللغة في القطر ولما وقر في النفوس من ان الازهر اعظم مدارس الاسلام في الارض وان فيه جهابذة علماء ولما ينفخه فيها نوابغ البلاد المهاجرين اليها — مع كل هذا لا تزال مصر موطن العربية من هذا الشرق العربي وفيها تصدر اهم المطبوعات والصحف العربية ولا يبعد ان يكون لها شأن غير شأنها الحاضر في المستقبل القريب وان قل تخرج النوابغ من ابنائها وإحكامهم ملكة اللسان العربي الاحكام الذي يسهل عليهم التأليف والانشاء والخطابة وقرض الشعر والتمييز بين صحيح الكلام وفاسده

وكانت قويت ملكة العربية في سورية بما قام في بيروت من المدارس الكبرى منذ اربعين سنة ولما استبدلت تلك المدارس اللغات الافرنجية باللغة العربية وجعلوها لغة التدريس والخطاب عاد حب لغات الاعاجم فاستحكم من النفوس خصوصاً بعد ان ايقن كثيرون من اهل الفئة التي هي اجرأ السوريين على الهجرة للاتجار والكسب ان العربية لا يأتي تعلمها بمال يعود على صاحبه بالرفاهية فلا تنفع في الماديات نفع اللغات الاوربية لهم في ذلك .

اللهم إلا تلك الفئة الفاضلة من كتاب السوريين في أميركا ممن أنشأوا الصحف وأخذوا يسعون جهدهم في بث ملكة اللسان العربي بين المهاجرين في مهاجرهم كما يعنى مهاجرة الالمان في الاحتفاظ بلغتهم في وسط بلاد الولايات المتحدة. قلت ان ملكة العربية ضعفت في بلاد الشام ويكفي انك تجتاز البلد والبلدين ولا تجد من يحسن الكتابة والقراءة بلا غلط بل انك لتستقري حال المئة الف نسمة في حواضر مدن الشام ولا تجد فيها خمسة يكتبون على وجه الصحة . وهكذا الحال في العراق ونجد والحجاز واليمن . وللشعر في هذه الاقطار الاخيرة أثر من الآثار القديمة اكثر من النثر ولا عبرة بالأفراد فهم لا يتجاوزون عدد الانامل في هاتيك الديار التي كان يعد رجالها بالمئات في العصور السالفة . والافراد ليسوا معياراً في هذا الباب

ومن اهل الاقطار التي يعنى أهلها بالعربية على عجمتهم مسلمو قافقاسيا والهند فان تدريس العربية في مدارسهم وكتاتيبهم شائع كل الشيوع وهم معتقدون ان في تعلمها تعلم الدين . من أجل هذا رأينا كثيرين من أهل النهضة فيهم في العهد الاخير طافوا بلاد الشرق العربي للبحث عن طريقة سهلة تمكن ناشئتهم من إحكام العربية في أقرب مدة ومن أيسر السبل ولما يئس بعضهم من وجود بعض أفراد توفرت فيهم هذه الشروط من أبناء جامعتهم ليغنوا الناء المطلوب عمدوا الى اختيار أساتذة هم في الاصل أعاجم على نحو ما فعلت كلية عليكدة في الهند وأقامت انكليزياً يعلم العربية على طريقة اللغات الاوربية تسهيلا على المتعلمين من ابنائها

وحال القطر التونسي فيما أرى من إحكام ملكة العربية حال سورية حذو القذة بالقذة ولعل الناشئة المتمكنة من آداب القوم يكثر عددها فيعاون

وجرائدهم ومجلاتهم وجمعياتهم على النظر في ترقيتها بينهم. أما الجزائر ومراكش فما إخالهما يعرفان من العربية إلا بقدر مايعرف منها أهل مالطة او اكثر بقليل. دع أهالي شنقيط فانهم أعظم أهل الارض عناية بالعربية وحفظاً لدواوين شعرائها وخطبائها فقد تجد الطفلة تحفظ من اسفار الادب ما لا عهد للخاصي به عندنا ولكن نظرهم في الادب والشعر نظر مجرد لا محل للعمل فيه . وهناك بلاد اسلامية كزنجبار ورأس الرجاء وجاوه وبعض مدن الصين وافغانستان وبخاري فانها ضعيفة في عربيتها ضعف الترك فيها

وبعد فان من رأي توفر الغربيين على دراسة العربية يكاد يوقن بان هذه اللغة لا تحيا الا على أيدي هؤلاء الافرنج فقد جعلوا لها المقام الاول بين اللغات الشرقية ولم يحسبوها من اللغات الميتة وأحيوا من مآثر الاسلاف ما يبيض الوجوه ويبعي على الاخلاف وناءهم وتقاعسهم

وأقدر الامم الغربية على تلقف العربية فيما أحسب الشعب الجرماني فان فيه رجالا يلفظون ويكتبون على مثال كتاب العرب انفسهم ويليهم في باب العناية بها على ما أرى الانكليز والاميركان والنمساويون والفرنسويون والهولانديون والروسيون والطليان والاسبان . وكان الفرنسيس فيما مضى في مقدمة الامم بالاشتغال بالعربية ولا سيما في عصر العالمين دي ساسي وكاترمير فاصبحوا اليوم في وسطها

ولا يبعد اذا دام الفرنجة على تعهد هذا اللسان بطبع كتبه ودراسة أصوله وفروعه أن يهاجر ابناؤنا الى بلادهم بعد ليتلقوه عنهم اذا دمنا على خمولنا وتخلفنا . ولولا بعض كتب قديمة تحيا بالطبع اليوم لقلنا بالنظر لما نرى من ندرة المطبوعات العربية العلمية انه سيجيء يوم نأخذ فيه عن الافرنج حتى

أصول ديننا. ومن الاسف ان جماع ما ينشر من تآليفنا منذ سنين لا يتعدى الروايات والهزليات أما كتب الجد كالفلسفة والتاريخ والرياضة والطبيعة والاقتصاد والاجتماع فلا محل لها من الاعراب في جملة أعمالنا

ولعل العربية في هذه الديار لا تمنى بما منيت به في سائر الاقطار فيكثر في ابنائها المتأدبون بآدابها وان قل عدد النوابغ أي يم تعلمها اكثر مما يخص. وعندي ان الرجاء معقود على الاكثر بالمجلات والجرائد اذا صرفت العناية بانشائها واختيار موضوعاتها فهي هي المدرسة الكبرى للامة وتأثيراتها متصلة باتصال صدورها وهي تبعث على المطالعة اكثر من الكتب . وما دام القرآن يتلى بلسان العرب فسيبقى أثر له في البلاد الاسلامية كافة وتضعف ملكته الحقيقية بضعف العمل به من دراسة آدابه

الملاهي وادوات الطرب

عند الاندلسيين من العرب

ذكر المقتبس في الصفحة ٢٩٨ من هذه السنة نصاً للشقندي في أدوات الطرب التي كانت معروفة في عهد المؤلف في اشبيلية . الا ان بعض أسماء تلك الملاهي لا توجد في دواوين لغتنا ولا ذكر لها في كتب أهل الفن . ولما كنت قد كتبت رسالة في هذا الموضوع وكنت قد أصلحت فيها نص الشقندي اجابة لطلب أحد الادباء اذ ان النساخ قد أفسدوا بقلمهم ما غمض من تلك الالفاظ رأيت الآن ان ادرج هذا الاصلاح واشرح تلك الكلمات العويصة لتعم الفائدة . فأقول :

أما الخيال وهو أول أدوات الطرب التي ذكرها الشقندي فهو تمثال